



لازلنا نتابع بذهول التغير المريع في السياسة المصرية تجاه القضية السورية، والتي تحولت من دعم كبير للثورة إلى مهادنة لقتلة الصوفيين وتطبيع واضح للعلاقات معهم، وهو ما حدا بأمير موسوي، مدير مركز الدراسات الاستراتيجية وال العلاقات الدولية في طهران، إلى القول: إن الرئيس مرسي عاد إلى صف دول الممانعة، ويقصد أبطال مسرحية "مقاومة إسرائيل" إيران والنظام السوري وحزب الله.

و لئن صحَّ توصيفه هذا، فإن شؤم هذه الخطيبة التاريخية سيظل يلاحق الدكتور مرسي – ونخصه بالذكر لأهمية الدور المصري، ولعزم ما علقه عليه المسلمون من آمالـ. وجماعة الإخوان إلى يوم القيمة، كيف لا وهم يبیعون دماء إخوانهم وأعراض أخواتهم بثمن بخس، مليارات إيرانية!

ليعلم الدكتور مرسي أن تلك القلوب التي دعت له وتلك الحناجر التي هتفت له ضد مرشح الفلوول، هي نفسها التي سوف تدعوا عليه وتترحم على عهد مبارك، الذي كان رغم فساده أكثر غيرة على الأمة العربية وأكثر إدراكاً للخطر الرافضي الفارسي.

إننا نتفهم الظروف التي واجهها الرئيس الدكتور مرسي من تكالب فلولي داخلي و معاداة إحدى الدوليات، ودعمها المالي للثورة المضادة، ولكن هذا لا يبرر بأي حال من الأحوال المتاجرة بدماء المسلمين.

يا دكتور مرسي: إن صلاحك وديانتك على المستوى الشخصي هي أمر فائدته لك وحده، وإن خطيئة المداهنة للفرس القاتلة الصوفيين وعميلهم النصيري، سفاح الشام، لهي كبيرة ومقت ستجر البلاء على الأمة بأسرها، وسيسألوك الله عنها، وسيسجلك التاريخ في عداد أولئك الذين باعوا قضايا أمتهم بمصالح حزبية ضيقة ووعود صفوية "وما يعدهم الشيطان إلا غروراً".

يا سيادة الرئيس: نعلم أن هناك تياراً إيرانياً ضمن جماعة الإخوان، يقوده المرشد السابق للجماعة مهدي عاكف، ونعلم أن بعض مستشاريك على علاقة وطيدة بالنظام الإيراني، كالدكتور محمد سليم العوا، ولكن يبقى أنك اليوم رئيس لكل المصريين، والذين بلا شك يعارضون أكثريةهم الساحقة أي تقارب مع إيران وبشار، أو حتى السكوت عن جرائمهم، تحت أي

يا سيادة الرئيس: إن كنت تظن أنك بتأخّيك عن القضية السورية والتقارب مع إيران ستوطد حكم وحكم جماعة الإخوان فأنت مخطئ.

يا سيادة الرئيس: إن في التاريخ من العبر والعظات ما يمنع العقلاً من تكرار الأخطاء الفاتحة وفيه من الدروس ما يجنّبهم السقوط في مستنقعات البراجماتية السياسية القدرة، فتأمل حفظك الله في حال من سبقك، وتأمل تحديداً في سيرة ذلك السلطان، حاكم مصر، والذي طرق في عصره الطاغية تيمورلنك بلاد الشام، وارتُكَب فيها من الجرائم والفظائع مالم يكن ينقصها سوى كامييرات هواتف "شبيحة" بشار، وصدق من قال: لكل قوم وارت.

أورد المؤرخ "ابن تغري بردي" في كتابه "النجوم الزاهرة"، في وصف غزو الطاغية تيمورلنك لدمشق سنة 803هـ، ما ملخصه أنه وبينما كان تيمور في غاية الاجتهد في محاصرة دمشق وفي عمل الحيلة في أخذها، كان أمراء دولة المماليك - الذين أتوا للدفاع عنها - في صراعات سياسية وخلافات على السلطة، وكان كل جماعة من أولئك الأمراء تتحين الفرصة للهرب من دمشق والعودة إلى القاهرة لتنصيب من يهווون منهم سلطاناً بدلاً عن السلطان الناصر فرج بررقوق، الموجود في قلعة دمشق، والذي كان لوجوده أثر كبير في الربط على قلوب المسلمين المحاصرين ورفع معنوياتهم.

يقول: (فوق الاختلاف عند ذلك بين الأمراء، وعادوا إلى ما كانوا عليه من التشاحر في الوظائف والإقطاعات والتحكم في الدولة، وتركوا أمر تيمور كأنه لم يكن، وأخذوا في الكلام فيما بينهم بسبب من اختفى من الأمراء وغيرهم) * "النجوم الزاهرة".

وبينما كان تيمور يتجهز للرحيل عن دمشق، بسبب ما ووجه به من مقاومة شرسة، وردته الأخبار بما بين الأحزاب الحاكمة من التنافس، يقول: (ثم أشيع بدمشق أن الأمراء الذين اختلفوا توجّهوا جميعاً إلى مصر ليسلطوا الشيخ لاجين الچركسى أحد الأجناد؛ فعظم ذلك على مدّبّري المملكة لعدم رأيهم، وكان ذلك عندهم أهمّ من أمر تيمور، واتفقاً فيما بينهم على أخذ السلطان، والعودة إلى الديار المصرية في الليل، ولم يكن أمر لاجين يستحقّ ذلك، بل كان تمراز نائب الغيبة بمصر يكفي السلطان أمّهم، (ولكن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا*) "النجوم الزاهرة" و هكذا آثر السلطان و جماعته المحافظة على الملك على الحفاظ على أرواح المسلمين، (وتركوا -عليهم من الله ما يستحقونه- العساكر والرعية من المسلمين غنماً بلا راع، وتركوا دمشق أكلة ل蒂مور، وكانت يوم ذاك أحسن مدن الدنيا وأعمّرها، فكان نتيجة ذلك احتلال تيمور لها، وحينئذ حلّ بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصف، وأجرى عليهم أنواع العذاب من الضرب والعصرب والإحراق بالنار، والتعليق منكوساً، وغمّ الأنف بخرقة فيها تراب ناعم كلما تنفس دخل في أنفه حتى تکاد نفسه تزهق، ومع هذا كلّه تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور، فيشاهد الرجل المعذّب امرأته أو بنته وهي توطأ، وولده وهو يلاط بها، وكل ذلك من غير تستر في النهار بحضورة الملا من الناس).

ورأى أهل دمشق أنواعاً من العذاب لم يسمع بمثلها؛ منها أنهم كانوا يأخذون الرجل فتشدّ رأسه بحبّل ويلوّيه حتى يغوص في رأسه.

ومنهم من كان يضع الحبل بكتفي الرجل ويلوّيه بعصاً حتى تنخلع الكتفان، ومنهم من كان يربط إبهام يدي المعذّب من وراء ظهره ثم يلقّيه على ظهره ويدرّ في منخريه الرّماد مسحوقاً، فلا يزال يكرّر عليه العذاب حتى يموت، ويعاقب ميتاً مخافة أن يتماوت.

ومنهم من كان يعلق المعذّب بإبهام يديه في سقف الدار ويشعل النار تحته، ويطول تعليقه، فربما يسقط فيها، واستمرّ هذا البلاء والعذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوماً، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرین شهر رجب من سنة ثلاثة وثمانمائة، فهلك في هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

فَلَمَا عَلِمَ أَمْرَاءُ تِيمُورَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقُ بِالْمَدِينَةِ شَيْءٌ خَرَجُوا إِلَى تِيمُورَ، فَسَأَلُوهُمْ: هَلْ بَقَى لَكُمْ تَعْلُقٌ فِي دَمْشِقٍ؟
فَقَالُوا: لَا؛ فَأَنْعَمَ عَنْ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ دَمْشِقٍ عَلَى أَتَابَاعِ الْأَمْرَاءِ فَدَخَلُوهَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ آخِرَ رَجَبٍ، وَمَعْهُمْ سَيِّفُ مَسْلُولَةٍ مَشْهُورَةٍ
وَهُمْ مَشَاةً، فَنَهَبُوهَا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ آلاتِ الدُّورِ وَغَيْرِهَا، وَسَبَوْهَا نِسَاءُ دَمْشِقٍ بِأَجْمَعِهِنَّ، وَسَاقُوهَا الْأُولَادُ وَالرِّجَالُ، وَتَرَكُوهَا مِنْ
الصَّغَارِ مِنْ عُمْرِهِ خَمْسَ سَنِينَ فَمَا دُونَهَا، وَسَاقُوهَا الْجَمِيعَ مَرْبُوطِينَ فِي الْحَيَالِ ثُمَّ طَرَحُوهَا النَّارَ فِي الْمَنَازِلِ وَالدُّورِ
وَالْمَسَاجِدِ، وَكَانَ يَوْمًا عَاصِفُ الرِّيحِ، فَعَمَّ الْحَرِيقُ جَمِيعَ الْبَلَدِ حَتَّى صَارَ لَهِيبُ النَّارِ يَكَادُ أَنْ يَرْتَفِعَ إِلَى السَّحَابِ، وَعَمِلَتِ
النَّارُ فِي الْبَلَدِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِلِيَالِيهَا آخِرُهَا يَوْمُ الْجَمِيعِ.

وَكَانَ تِيمُور—لَعْنَهُ اللَّهُ—سَارَ مِنْ دَمْشِقَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثُ شَهْرِ شَعْبَانَ بَعْدَ مَا أَقَامَ عَلَى دَمْشِقَ ثَمَانِينَ يَوْمًا، وَقَدْ احْتَرَقَتِ
كُلُّهَا وَسَقَطَتِ سَقْفُوْ جَامِعِ بَنِي أَمِيَّةَ) * "النَّجُومُ الْزَاهِرَةُ"

فَهُلْ حَقُّ اللَّهِ لِذَلِكَ السُّلْطَانِ مَا تَمَنَّى مِنْ دَوَامِ الْمَلْكِ؟ كَلَّا وَاللَّهُ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَنَوَاتٌ حَتَّى عَاقِبَهُ اللَّهُ، وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ
عَقْوبَتِهِ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ الَّذِي تَخْلَى فِيهِ عَنْ دَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ "دَمْشِقَ"، حِيثُ انتَزَعَ مِنْهُ السُّلْطَانُ، نَتْيَةً لِانْقَلَابِ مُسْلِحٍ قَامَ بِهِ
بعْضُ حَاشِيَتِهِ، وَنَتَجَ عَنْ ذَلِكَ حَبْسِهِ ثُمَّ قُتْلَهُ بِطَرِيقَةٍ بَشِّعَةٍ.

وَالْأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ (سَحْبٌ بِرِجْلِيهِ حَتَّى أَلْقَى عَلَى مَزْبَلَةِ مَرْتَفَعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ تَحْتَ السَّمَاءِ)، وَهُوَ عَارِيُّ الْبَدْنِ، يَسْتَرُ عُورَتَهُ
وَبَعْضُ فَخْذِيهِ سَرَاوِيلِهِ، وَعَيْنَاهُ مَفْتوَحَتَانِ، وَالنَّاسُ تَمَرَّ بِهِ مَا بَيْنَ أَمِيرٍ وَفَقِيرٍ وَمَمْلُوكٍ وَحَرِّ. قَدْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ دُفْنِهِ
وَمَوَارِاثَتِهِ. وَبَقِيَتِ الْغَلْمَانُ وَالْعَبِيدُ وَالْأَوْبَاشُ تَعْبَثُ بِلَحْيَتِهِ وَبِدَنِهِ وَاسْتَمِرَّ عَلَى الْمَزْبَلَةِ الْمَذَكُورَةِ طَوْلَ نَهَارِ السَّبْتِ الْمَذَكُورِ،
فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ مِنْ لَيْلَةِ الْأَحَدِ حَمَلَهُ بَعْضُ أَهْلِ دَمْشِقَ وَغَسَّلَهُ وَكَفَّهُ. وَدَفَنَهُ، وَلَمْ تَكُنْ جَنَازَتُهُ مَشْهُودَةً، وَلَا عُرِفَ مِنْ تَوْلَى
غَسْلِهِ وَمَوَارِاثَتِهِ). اَنْتَهَى، * "النَّجُومُ الْزَاهِرَةُ"

وَهُلْ كَانَ هَذَا فَقْطًا؟ لَا، بَلْ بَقَى لَهُ الذَّكْرُ الْقَبِيْحُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ، قَالَ الْمَقْرِيزِيُّ فِي تَارِيْخِهِ فِي تَرْجِمَتِهِ لِهَذَا السُّلْطَانِ: (وَكَانَ
النَّاصِرُ أَشَأْمُ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ خَرَبَ بِسُوءِ تَدْبِيرِهِ جَمِيعَ أَرَاضِيِّ مَصْرُ وَبِلَادِ الشَّامِ مِنْ حِيثُ يَصْبِبُ النَّيْلَ إِلَى مَجْرِيِ
الْفَرَاتِ، وَطَرَقَ الطَّاغِيَةِ تِيمُورَ بِلَادِ الشَّامِ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَثَمَانِمَائَةٍ، وَخَرَبَ حَلْبَ وَحَمَّةَ وَبَعْلَبَكَ وَدَمْشِقَ، حَتَّى صَارَتِ دَمْشِقُ
كَوْمًا لَيْسَ بِهَا دَارٌ وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ)

فَهُلْ يَسْرُكَ يَا سِيَادَةَ الرَّئِيسِ الدَّكْتُورِ مُرْسِيُّ أَنْ يَكُونَ مَصِيرُكَ مِثْلَ مَصِيرِهِ؟
وَهُلْ يَسْرُكَ مِنْ زُعمَاءِ الْعَرَبِ حلُولَ نَقْمَةِ اللَّهِ بِمَنْ خَذَلَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ؟
أَعِيْذُكَ وَأَعِيْذُهُمْ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْدِكَ إِلَى الْحَقِّ وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْكَ مُسْتَشَارِيَ السُّوءِ وَعَمَلَاءِ إِيْرَانِ.

المصادر: